Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجوانب التى جسدت الفكر العربى فى فن البيان الخطابى هو ما يتعلق بالمعايير النفسية التى تحكم العلاقة بين الخطيب وجمهوره، فقد انتهى إلينا من تجارب هؤلاء الرواد حديث مستفيض ومتنوع عن أحوال السامعين ومراتبهم النفسية وعن ضرورة الملائمة بين غاية الكلام ونشاط المتلقى. فشرف الموضوع، وصواب الفكرة كلاهما لا يغنى المتكلم أو الخطيب عن مراعاة أحوال المخاطبين ومدى نشاطهم لما يلقى إليهم؛ ولهذا لم يقبلوا من خطبائهم مازاد عن قدر الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال وكانت لهم فى ذلك ضوابط، استقوها من كثرة تجاربهم، وتنوع معارفهم منها قولهم : «للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه»(١).

ففى التعبير إشارة إلى مفهوم الإسهاب عند حكماء اليونان، وفيه إلى ذلك خلاصة التجربة العربية فى فن التخاطب الذى اكتمل نضجه، واستوى على سوقه فى إطار الحركة الدائبة، التى نشط لها خطباء الدعوة الإسلامية، فكان هؤلاء الدعاة يقدرون الموازين النفسية للمخاطبين، ويحرصون على مراعاة طاقاتهم فى احتمال ما يلقى إليهم. وكان عبد الله بن مسعود يقول: «حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم وأذنوا لك بأسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك»(٢).

وفى ذلك يقول أحد التابعين : «..لاتقبل بحديثك على من لايقبل عليه بوجهه..»(٣). وقال بعض الحكماء :(٤) «من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك»(٥).

فالعلاقة بين المتكلم والسامع بهذا الفهم قد تكون أمرا مشتركا بين الفكر اليونانى أو الأرسطى بالذات والفكر العربى. وليس إلى إنكار التأثر بفن الخطابة عند أرسطو من سبيل، أو داع يدعو إليه. فالعقول التى تعجز عن احتواء ما حولها

---

(١) البيان والتبين ١ / ٩٩

(٢) المصدر السابق ١ / ١٠٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ترد كلمة «حكيم» أو «حكماء» عند الجاحظ مرادا بها عالبا فلاسفة اليونان أو أرسطو.

(٥) البيان والتبيين ١ / ١٠٥.